الرقم الدولي المعياري للمؤتمر ـــــ (معتمد ومصنف دوليًا) ـــــ ISBN 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

بحث

# كيف تخلَّفت مناهج اللغة العربية عن الانسجام مع ذوق الطالب العربي؟

## دراسة وتحليل

بحث مقدم للمشاركة في

**المؤتمر الدولي التاسع للغة العربية**

المنعقد في دبي، بدولة الإمارات العربية المتحدة

في: 6–8 نوفمبر 2023م

المُوافق 22–24 ربيع الآخر 1445هـ

إعداد الباحث

د. سعيد أحمد حياة المُشَرَّفي

كلية الدراسات الإسلامية واللغة العربية

جامعة جميرا، دبي

almusharrafi96@hotmail.com

00971–545473873

بسم الله الرحمن الرحيم

# كيفَ تخلَّفت مناهجُ اللغةِ العربية عن الانسجامِ مع ذوقِ الطالبِ العَربي؟

## فكرة البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه وأجمعين، أما بعد:

تدور فكرة هذا البحث حول النظر في أسباب رئيسة وقفت وراء تخلف المناهج الدراسية عن بناء أساس لغوي متين أو مطلوب لشخصية الطالب العربي في المرحلة الجامعية عامة وما قبل الجامعية خاصة، ومدى مؤاءمة محتوى اللغة العربية وطرق تدريسها مع ذوق الطالب وطبعه وسليقته وميوله ورغباته وحاجاته وبيئته؛ وذلك حين آثرت تلكم المناهج الدراسية –منذ المراحل التعليمية المبكرة– تعليمَ اللغة العربية عن طريق قواعدها المتمثلة في النحو والصرف وشيء من البلاغة والنقد ونحو ذلك.

وبعد انخراطي في مهنة تعليم اللغة العربية منذ حوالي عشرين سنة –بشكل عام– ومواجهتي لواقع لغوي صادم ومؤسف لدى الطلاب في الكلية –وما قبل الكلية أيضًا– توصلت إلى نتائج يجب أن أضعها اليوم هنا بين يدي كبار العلماء والمفكرين المعنيين بشؤون اللغة العربية تعليما وتربية وتطويرا، والمهتمين بتنمية الجانب اللغوي والفكري لدى فئة الطلاب خاصة وغيرهم من فئام الشعوب العربية عامة.

في العشر سنوات الأخيرة لاحظت بشدة أن الضعف اللغوي بادٍ على جميع الطلاب ممن التحقوا **بكلية الدراسات الإسلامية واللغة العربية بجامعة جميرا دبي**، باستثناء ما لا يزيد عن خمسة بالمائة فقط منهم. وقد تجلى هذا الضعف في جميع المهارات اللغوية تقريبًا، وبخاصة القراءة والتعبير بنوعيه الشفوي والكتابي، وكذلك الخط والإملاء، أما جانبا الاستماع والفهم فالخطب فيهما أقل؛ وذلك لأمور ستأتي الإشارات إليها في ثنايا الكلام لاحقًا.

**تساؤلات البحث وأسباب اختيار الموضوع:**

هذه الظاهرة المقلقة أثارت في ذهني تساؤلات عديدة، منها:

- ما بال الطلاب وما حال المناهج اللغوية في المراحل قبل الجامعية؟ وما الذي تلقوه واستفادوا منها خلال قرابة عقد من عمرهم الزاهر، وماذا لقنتهم تلك المناهج الدراسية فيما يخص العلوم والمعارف العربية؟
- لماذا المخرجات التعليمية لدى الطلاب في مجال اللغة العربية تجنح باستمرار نحو انخفاض؟
- من المسؤول عن هذا القصور المهول عن تحقق المخرجات التعليمية، وأين يكمن ذلك الخلل المهيب الذي يعوق الوصول إلى مستوى تحقيق الحد الأدنى من الطموحات التي تطمح إليها وزارات التعليم والمؤسسات القائمة والنشطة لرفع شأن اللغة العربية في مختلف الميادين والمجالات في أغلب الدول العربية؟
- هل مناط هذا الضعف ومُلقى اللوم فيه هم الطلاب أم المناهج الدراسية أم المعلمون؟
- كيف يمكن معالجة هذا الخلل، وكيف يتأتى تحبيب اللغة العربية إلى الطلاب والقضاء على بعض العقد التي توارثوها جيلا بعد جيل؟
- ما هي الطريقة المثلى لتدريس اللغة العربية وتلقينها للطلاب؟
- ما هو مفهوم النحو العربي لدى قدامى النحاة؟ وعلامَ استقرَّ مفهوم النحو لدى المتأخرين؟

- ما نصيب هذا النوع من النحو العربي من كتاب الإمام سيبويه؟
- ما حقيقة المقولة الشائعة: "تعلم الإعراب لازمٌ لفهم كلام العرب وبالتالي القرآن الكريم." من خلال الواقعين التاريخي والراهن؟
- لماذا أغلب الطلاب –ممن خالطتُهم– لا يفرقون بين اللغة وقواعدها؟ ولماذا يظنون بل يستيقنون أن تعلم اللغة العربية وإتقانها يعني تعلم النحو والصرف وإتقان قواعد الإعراب؟ ويحسبون أن أول كتاب لتعلم اللغة العربية هو كتيّب الآجرومية؟
- بما أن الحقيقة الجلية هي أنه لا يوجد ضمن المناهج التعليمية –في غير كليات اللغة العربية– ما يساعد الطلاب على تفادي هذا القصور اللغوي المهول أو معالجته، أو ما يعزز قدراتهم اللغوية وينمي مهاراتهم الفكرية والتعبيرية سوى النحو والصرف وشيء من البلاغة ونحو ذلك؛ فهل يمكن هذه المساقاتِ المعدودةَ، وبمباحثها المعدودةِ –هي الأخرى– أن تُكسِب الطلاب المهاراتِ اللازمةَ في اللغة العربية؟ وهل بمقدورها أن تزودهم بتلكم الأدوات والآليات والطرق والأساليب التي يجب توفرها؛ لكي يتقنوا العربية بجميع –أو معظم– مهاراتها، ويتمكنوا من ناصيتها، مُحِبّين مستسهلين معتزّين ومفتخرين؟

**نماذج مؤلمة من مخرجات ونواتج مناهج اللغة العربية:**

قناعتي أنه لا يمكن المناهجَ الدراسيةَ للغة العربية بمحتواها – المحدودَ والمبعثرَ– وأساليبَ تعليمها وطرقَ تلقينها تحقيقُ ذلك، وواقع الطلاب بل حتى الكثير من الأساتذة والدكاترة خيرُ شاهد وجليُّ برهانٍ على ذلك. ولكي أوضح دعواي هذه يجب عليَّ أن أشير إلى بعض الأمثلة والنماذج المؤسفة والمريبة في ذلك، وهي تقريبًا من واقع تجاربي الذاتية:

- مناقشٌ برتبة "أستاذ دكتور في أصول الفقه" وفي جامعة مشهورة جدا لا يعرف بعض القواعد الإعرابية المشهورة، بينما يعلمُها الطالب الذي يناقشه في رسالته للماجستير.
- دكتورٌ لا يعرف الفرقَ بين كلمتي "**شِبتَ**" و"**شَيَّبتَ**"، **من الناحية الصرفية**، مع أن الكلمة الواردة في الحديث هي الأولى. ثم يصر على رأيه لا لشيء وإنما فقط لأن الكلمة مكتوبةٌ لديه هكذا.
- دكتورٌ يضبط كلمة "**مُدَى** الحَبْشَةِ" الواردة في بعض الأحاديث الشريفة بـ"**مُدَّيْ** الحَبْشَةِ". ولا يقبل برأيٍ مغايرٍ.
- دكتورٌ في أثناء تفسيره لكلمة "**سَمْكَ**" في آية: (رَفَعَ **سَمْكَهَا**) يَستَطرد، فيقول: "ومِن هذه الكلمة أُخذَت كلمة "**اسْمُك**" التي نستعملها دائما في مثل قولنا: "ما اسْمُكَ، يا فلان؟" معللا ذلك بتعليلٍ غريبٍ وغير معقول. وعندما لفتَ بعض الطلاب انتباهه الكريم إلى هذا الخطأ لم يعد لشرح المفردات إلا يسيرا وسريعًا.
- طالبٌ بالدكتوراه يقرأ عبارةَ "**التَّهَوُّرُ تَدَهْـوُر**." في لوحة تحذيرية معلقة على أعمدة الشوارع من إدارة المرور: "**التُّهُورُ تُدْهُورٌ**." ويسأل مستغربًا عن معناها.
- طالبٌ في الماجستير بكلية اللغة العربية يصعب عليه استيعاب سبب ضبط كلمة "**أيَّ**" **بالفتح**، في بيت شعري أوله: (**أيّ المَنَابِر نَرتَقِي** ...الخ). وكان يراها بالضم.
- دكتور لا يميز بين الأسماء والأفعال والمرفوعات والمنصوبات، وهو متخصص في علوم القرآن الكريم.
- دكتورٌ –غير عربي– قضى حياته في التعلم ثم التدريس في دولة عربية حتى تقاعدَ، أراد ذات يوم أن يختبر مهارات بعض الطلاب في اللغة العربية وقياس قدراتهم في الترجمة منها، فيلقي إليهم نصا ليترجموه إلى لغة أخرى بأسلوب فصيح وسلس. فيدلى العديد من الحضور بدلائهم، غير أن الدكتور يظل يخطِّئ كل محاولاتهم؛ لكي نتفاجأ في النهاية أن فضيلته هو –بنفسه– غير مستوعب لمعنى الحديث وتركيبته اللغوية.
- بعض المعلمين ممن تخرجوا في كلية اللغة العربية يسألون أسئلة يعَدّ بعضُها **مؤشرا خطيرًا** على أن بعض الطلاب لا يعرفون أبجديات القواعد النحوية أو لا يأبَهُون بها. ومن أغرب الأسئلة وأشدها إيلامًا ما سألنيه بعضُهم: هل كلمة "**قُرَيْش**" فعل ماضٍ أم فعل مضارع؟!

- أما الحكاية التي تقصم الظهر فهي ألّا يعرف طالب المرحلة الجامعية من الإعراب ولا من علاماته شيئًا! لم أصدِّقه، لولا أني استحلفته، فحَلَف بأنه صادقٌ فيما يقول. أما كيف اجتاز كل تلكم السنوات السالفة فهي حكاية أخرى أشد غرابة من جهله بأبجديات قواعد الإعراب!
- بعض خريجي إحدى كليات اللغة العربية والدراسات الإسلامية لا يعرفون موضع الإعراب من الكلمة، أهو آخرها أم أولُها! سألني ذات يوم أحدُهم عبر الجوال بالحرف التالي: **"شيخنا، كيف حالكم؟ عندي سؤال: قال لِي أحدهم إنه يرى تقديم الفتح على الكسر في قوله: "اللهُمَّ استُرنا بِسَتْرِك الجَمِيل." يعني "بِسَتْرِكَ" أَم "بِسِتْرِكَ"؟ بالنسبة لي: الثانية...؛ لوجودِ حَرفِ البَاء."ثم قال: "هل هُنَاك وجهٌ في الأوَّلِ أم أنه مما عمَّ به البلوى"؟**
- ومن أعاجيب الزمان أن رئيسَ تحرير لصحيفة عربية محترمة جدًّا (وأصبح وزيرًا لاحقًا) تتسم كتاباته بقوة السبك وحُسن الديباج وفصاحة الكلمة وبلاغة الكلام في عمق تفكير وتحليل، وكنتُ أتصوره من فرسان الفصاحة والإعراب من ناحية النطق والحديث أيضًا، ولكني انصدمتُ جدًّا يوم رأيتُ –بالصدفة– طريقة تعبيره وأسلوب نطقه في إحدى المقابلات؛ لقد تفاجأت بأنه لا يميز حتى بين المرفوعات والمنصوبات والمجرورات! وليته لم يحاول إظهار حركات الإعراب أصلا!
- العديد من المتخصصين في القواعد العربية (ممن يحمل درجة الأستاذية في علومها) ويتابعهم عشرات الآلاف على وسائل التواصل الحديثة ولهم جهود كبيرة –حقًّا– في التأليف في النحو والصرف وإلقاء المحاضرات والدروس في فنونهما، بيد أنك لو تسمعهم وهم يتحدثون إلى الجمهور فلن يشقَّ عليك لَمحُ لَحنٍ ومخالفة قواعد نحوية عديدة في كلامهم، –وهم بالتأكيد لا يشعرون ولا يقصِدون– ناهيكم عن تسكينهم أواخرَ الكلمات حتى في بَحرِ الجُملة كثيرا.

هذا غيض من فيض مما عمت به البلوى ليس فقط على مستوى عامة الشعوب العربية بل حتى على مستوى الغالب من خاصتها ونُخَبها العلمية والثقافية! إذًا، فما الذي استفاده الطلاب (والكثير من الدكاترة والأساتذة) من كل تلكم السنين التي أنفقوها في دراسة العربية، أو ماذا جَنَوا من الجهود التي صرفوها؛ ابتغاءَ إتقان مهاراتها؛ واتقاءَ الوقوع في اللحن، إذا كانوا لا يَسلَمُون –كثيرٌ منهم– منها وهم قد حازوا على أعلى الدرجات العلمية في اللغة العربية؟

تُرى أين مكمنُ الخلل، إذنْ؟

**المناهج التعليمية وأساليب التدريس في محكمة الطالب العربي:**

عشرات الآلاف من الطلاب يتخرجون من الثانوية والكليات كل عام، ولكن نسبةً ضئيلةً جدا منهم فقط هي التي تحسن قراءة النصوص العربية قراءة سليمة من ناحية ضبط الكلمات والإعراب؟ لماذا؟

لعلي لا أكشف سرًّا أمام شريف علمكم ولا ألقي ببدع من القول بين يدي بديع فكركم حين أعلن بملء فمي ووُسْعِ أشداقي أن النحو –بمفهومه الحالي ومحتواه المعروف– لا يكسبنا مهارات اللغة العربية، كلا، ولا يمكنه ذلك، بل، من الحيف أن نطالبه بذلك أو نُؤهِّلَه فيه! إنه يحاولُ أن يزودنا فقط بالمعارف التي توقفنا على طريقة ضبط أواخر الكلمات، ليس إلا، وهي لا تهم الطالب العربي كثيرا، كما يشهد بذلك الواقع؛ أما المعلومات التي هي خارج إطار الإعراب من أقسامٍ وأبنيةٍ صرفيةٍ ومباحث مما يتناوله النحو أو البلاغة فالكثير منها يعرفه الطالب العربي بفطرته، ويدركه بسليقته، وليس به –بالتالي– حاجة ألبتة إلى أن يعرف المعروف ويُتعب رأسَه لاهثًا وراءَ تحصيل الحاصل؛ ولأجل ذلك فهو ما إن ينتهي من الاختبارات حتى يتبخر منه معظم تلكم المعارف التي اضطُر مُكرهًا للتعامل والعيش معها عدةً من الشهور أو الفصول؛ فتتطاير من رأسه إلى فضاءٍ سحيقٍ! (وكأنك، يا أبا زيد، ما غزيتَ!).

يعني لقد كان أكبر همّ المقررات اللغوية تعليم الطالب العربي ما لا يحتاجه في حياته اليومية (والعملية)، وإغفال ما يحتاجه في كلّ حينٍ في مجال اللغة، من عناصر وقيم أساسية تُعتبر هي اللغة. وإن ما زاد الطين بلةً والأمرَ علّةً أن يعلمهم أُناسٌ جُلهم لا يلتزم باللهجة الفصحى أثناء التدريس، أما أن يحاول الالتزام بقواعد الإعراب فذلكم من آخر اهتماماتهم! وهو أحد أهم أسباب تزهُّد الطلاب في قواعد الإعراب.

ولَإن أنسَ فلن أنسى أساتذة كبارا درَّسونا في مرحلتي الدراسات العليا كان يشقُّ على ألسنتهم أو على أنفسهم الالتزام بصحة مخارج بعض الحروف، ناهيكم عن الالتزام بالفصحى، ناهيكم عن الالتزام بالقواعد الإعرابية! ولقد ترجينا منهم العدول عن هذه الطريقة غير العلمية وغير الحضارية فأبَوا أو لم يسطيعوا أو أخذتهم العزة بأمرٍ لَم نعلمه!

ولكن لماذا هذه البلوى والبلية التي لا يكاد يسلم من شررها أحد؟ أهُو من قبيل أن طلب الكل تفويت الكل؟ لِنَرَ ذلك من خلال المباحث التالية.

## المبحث الأول: مفهوم النحو قديمًا في ضوء أهم المصادر

لكي يتبين موضع الجنوح عن الجادة والسبيل المستقيمة المثمرة في تعليم اللغة العربية وإكساب الطلاب مهاراتِها لا بد أن نستحضرَ هنا تعريف النحو حديثًا ثم الوقوف على مفهومه قديمًا.

**المطلب الأول: تعريف النحو لدى المعاصرين:**

تعريف النحو الذي يكاد يكون متفقا عليه بين النحاة والمؤلفين فيه هو: علمٌ يختص بدراسة أواخر الكلمات، من حيث الإعرابُ والبناءُ، وتحديدُ العوامل والمعمولات وعلامات الإعراب. وهذا التعريف استفادوه من كتاب (التعريفات) للجرجانيّ (ت 816) ثم استمروا عليه جيلا بعد جيل، فقد عرف النحوَ بأنه "عِلمٌ بقوانين يُعرف بها أحوال التراكيب العربيّة من الإعراب والبناء وغيرهما."[1]

**المطلب الثاني: تعريف النحو أو مفهومه عند المتقدمين:**

لا نجد حتى أواخر القرن الثالث لهذا العلم تعريفًا اصطلاحيا، وإنما يباشر النحاة حديثهم فيه بدءا من تقسيم الكلمة والكلام أو الحديث عن أنواع التراكيب ونحو ذلك. قال الإمام سيبويه مثلا في أول كتابه: هذا باب علم الكَلِم من العربية، فالكَلِم: اسمٌ، وفِعْلٌ، وحَرْفٌ جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل..الخ[2] وأقدم تعريف للنحو ما عرفه به ابن السّراج (ت ٣١٦هـ) حين قال بأنّه العِلم الذي يبحث في كِلام العرب واستقرائه على نحو يجعل المُتكلِّم يتعلّم كلامَهم ويَحذُو حذوَهم.[3] غير أنه أدخل في تعريفه علم الصرف أيضًا.

ثم جاء في القرن الرابع أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (322- 392هـ) وتبع ابنَ السرَّاج في تعريفه، فذكر أنّه العِلم الذي يعتمد على اتّباع نهج كلام العرب في تصرّفه من إعراب أو غيره، كالتّشبيه، والجمع، والتّحقير، والتّكسير، والإضافة، والنّسب، والتّركيب وغير ذلك.[4]

**المطلب الثالث: مفهوم النحو ومحتواه تحت المجهر:**

يلاحَظ من خلال التعريفين أنه لا فرق بينهما من حيث الغاية والهدف من تعلم النحو. وعدم وجود تعريف اصطلاحي لهذا العلم على مدى أكثرَ من مائتي سنة قبل الإمام ابن السرَّاج أمرٌ مفهومٌ ومعقول؛ إذ أنهم يسمونه "العربيةَ" و"علم العربية"، و"نحو العرب"، و"دستور العربية" و"قانون العربية"، و"علم الإعراب"، ونحو ذلك، بمعنى أن النحو عندهم هو اللغة العربية بكل ما فيها وبكل ما يتعلق بذلك الذي فيها. يقول الإمام ابن سلام في كتابه: "الطبقات": "وكان أوّل من استنّ "العربيّة" وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي".[5]

(1) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، مكتبة لبنان بيروت، ط 1985م، ص: 259.

(2) الكتاب للإمام سيبويه (أبي بشر عمرو بن عثمان)، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/3، 1408هـ-1988م، ص: 13/1.

(3) الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري، تحقيق الدكتور عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/3، 1417هـ-1996م، ص: 35/1.

(4) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي نجار، ط4، دار الشؤون الثقافية العامة، د ت، ص35/1.

(5) طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي (231هـ)، تحقيق طه أحمد إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م، ص 29.

وقال ابن قتيبة: أول من وضع "العربية" أبو الأسود.[6] واستعمل هذه الكلمة بهذا المعنى المُحدِّثون أيضًا، قال الحافظ ابن حجر في الإصابة: أول من ضبط المصحفَ ووضع "العربية" أبو الأسود.[7]

وقال الشيخ أحمد الطنطاوي –رحمه الله– بأن تسمية هذا العلم بالنحو وجد وذاع من لدن الطبقة الثانية من النحاة.[8] ولكن مع نشأة هذه التسمية الجديدة أو ظهور المصطلح الجديد: (النحو) فلم يفقد من أسمائه وألقابه عبارةَ "اللغة العربية"، بل كأنه أصبح مرادفا لها؛ وذلك كما يتضح من الرواية التي تنسب إلى الإمام الشعبي من أنه مر بقوم من الموالي يذاكرون النحو، فقال: **"لَأَن أَصلَحْتُمُوهُ إِنَّكُم لَأَوَّلُ من أفسَدَه."**[9] وهذه الرواية تدل دلالة قاطعة أيضا على أن هذه القواعد اللغوية موجهة في الدرجة الأولى إلى غير العرب، ولكن المناهج العربية في المدارس والكليات طالما عاملت —وما زالت تعامل– أبناءَ العروبة طلابًا وغير طلابٍ معاملةَ الموالي أو المُستعربين، بل ربما كالأعاجم أيضًا؛ وذلك حينَ تعلمهم طريقة اشتقاق المثنى وجمعي السالم والتكسير، وصيغ أسماء الفاعل والمفعول والصفة المشبهة والمبالغة وتشرح لهم معاني الحروف والحروف المشبهة بالفعل والأفعال الناسخة وغير ذلك من عوامل وأدوات، مع أنهم يستعملونها ليلَ نهارَ بطريقة صحيحة بنسبة 90%. أرى أنه بسبب مثل هذه الأمور أزفت الآزفة ثم وقعت الواقعة.

ومما يدل على أن مصطلح "النحو" أو عبارة "نحو العرب" أو "النحو العربي" كانوا يقصدون بكل ذلك "اللغةَ العربية" برمتها، أي ألفاظَها، وأصواتَ حروفها، وتراكيبَها وخصائصَها، وفقهها، وصرفها وما فيها من لهجات واختلافات: ما قاله الإمام ابن جني –رحمه الله– في الغاية من النحو، إذ قال: **"هُو انتِحَاءُ سَمتِ كَلامِ العَرب في تصرّفِه من إعرابٍ وغيره، كالتثنية والجمع والتحقير والتكبير والإضافة والنسب والتركيب، وغير ذلك، لِيَلحَقَ مَن لَيس مِن أهلِ اللّغةِ العربيةِ بأهلِها في الفَصَاحة."**[10]

وعند النظر في المفهومين لعلم النحو وعقد مقارنة سريعة بينهما نتفاجأ بأن هناك تناقضا كبيرا بين النحو القديم بمفهومه الشامل وهذا المحتوى النحوي الذي تقدمه المناهج التعليمية للطلاب حاليا، فبحسب مفهوم القدامى يُفترض أن ندرس النحو بكل ما فيه، عُجَره وبُجَرِه، ولكن كيف؟ فالتصنيف الحديث لعلوم اللغة وفنونها بعد استحداث عدة مساقات لغوية بعناوين وألقاب جديدة فيها مما لم يعرف في ردهات الجامعات والكليات من قبل، يقف عائقا أن نفعل ذلك! فهناك الكثير من المباحث والمسائل قد انتزعتها من بيت النحو والصرف مساقاتٌ دراسيةٌ أخرى، مثلُ: البلاغة، وفقه اللغة، وقوانين فكر اللغة، وعلمِ الرسمِ والإملاء، وعلمِ الأصوات،[11] وعلمِ الصرف، وعلمِ الدلالة، والنقدِ (أي قواعد الأدب بغيةَ تفسير القرآن، وفهم أشعار العرب)، والمعاجمِ، واللهجاتِ العربيةِ.[12] وبالتالي ينبغي على المناهج التعليمية أن تعود إلى مصادر النحو والصرف من جديد، فتبحثَ فيها بمنظار دقيق عن تلكم المباحث فقط التي يصدق عليها مفهومنا الحالي للنحو، وتستبعد ما سوى ذلك.

وأنا على يقين بأن هذه المباحث لن تعدوَ عشرَ صفحاتٍ لو جمعناها مصفَّاةً من العلوم السابقة التي خرجت من عباءة النحو العربي. ويمكن تدريس هذه المباحث والمسائل الإعرابية للطلاب في دورة مكثفة واحدة في فصل دراسي واحد أو اثنين فقط في نهاية المرحلة الثانوية. أما ما قبل ذلك فيجب ترك الطلاب يعيشون مستمتعين مع النصوص اللغوية الأصيلة والشذرات الأدبية بمختلف أنواعها وأصنافها على غرار

(6) كتاب المعارف، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري، تحقيق د. ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، ط/4، ص: 434.

(7) الإصابة في تمييز الصحابة، الحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق عادل عبدالموجود، وعلي معوض، دار الكتب العلمية، ط/1، 1995م،

(8) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص 33) ونسبة التسمية إلى أبي الأسود الدؤلي من قبيل التسامح.

(9) الغارات، أبو إسحق إبراهيم بن محمد الثقفي (ت 283هـ) تحقيق مير جلال الدين الحسيني الأرموي، 1395هـ، ص: 829/2.

(10) الخصائص، تحقيق محمد علي نجار، ط4، دار الشؤون الثقافية العامة، د ت، ص35/1.

(11) ينظر: المرايا المقعرة، نحو نظرية نقدية عربية، عبد العزيز حمودة، ص .242.

(12) أرى أن أغلب الاختلافات النحوية والصرفية هي عبارة عن تنوع اللهجات العربية واخلافاتها.

ما كان يفعله الأوائل من العرب، وأنا أضمن أن الطلاب لن يشبعوا –بعون الله تعالى– من العربية أبدا، وسيقتنعون بأنها أسهل وأجمل لغة على الإطلاق.

## المبحث الثاني

## هويَّة النحو بين اتجاهين: قواعد ضبط الإعراب وفقه اللغة والبلاغة

**المطلب الأول: النحو بين الإعراب وفقه اللغة:**

لقد أشار تعريف ابن جني السابقُ إلى أمر مهم للغاية، وقد تسبب عدم انتباه المناهج التعليمية له أو عدم اهتمامها به في تنفير الطلاب العرب من لغتهم أو إساءة ظنهم بها، ألا وهو أن الهدف الرئيس من تعلم النحو هو تعليم اللغة العربية **"للأعجَمِي"** على سمت العرب الأقحاح ونحوهم وطريقتهم.

وأما **"العربي"** فالهدف من تعليمه النحو هو التفقه والتعمق في اللغة العربية؛ خاصة عندما يتعلق الأمر بكتابِ الله سبحانه وكلامِ رسوله صلى الله عليه وسلم. رُوي عن الإمام أبي جعفر الطبري أنه قال: سمعتُ الجَرْميَّ يقول: "أنا مُذْ ثلاثون أُفتِي الناسَ في الفقه من كتاب سيبويه." قال: فحدَّثت به محمدَ بنَ يزيدَ على وجه التعجُّب والإنكار، فقال: "أنا سمعتُ الجرميَّ يقول هذا، وأومأ بيديه إلى أذنَيه. وذلك أن أبا بكر عُمرَ الجرمي كان صاحبَ حديثٍ، فلما علِم كتابَ سِيبَويه تفقَّه في الحديث؛ إذ كانَ كِتابُ سِيبَويه يُتعَلَّم منه النظرُ والتَّفتيش."[13]

ولا يخفى من النص السابق أن النحو يكاد يكون خاصا بالمتخصصين والعلماء والفقهاء أو ممن قارب مستواهم. وبهذا يقترب النحو في طبيعته وهدفه من طبيعة فقه اللغة بمفهومه الأوسع، غير أنهم لم يسمُّوا هذا العلم بـ"فقه اللغة" –ربما– تَحاشيًا من أن يشتبه بالفقه الشرعي المرتبط بالقرآن والحديث مباشرةً؛ فتأخر ظهور هذا المصطلح إلى أواخر القرن الرابع؛ حين ظهر على يدي الإمام العبقري أحمد بن فارس القزويني الرازي (329–395هـ). ويبدو أنه بنى مباحث كتابه **(الصاحبي في فقه اللغة)** على مباحث جديدة لا تتناولها أو تتدارسها كتب النحو والصرف عادةً، فأضافها إلى مباحثه، كما ضمَّن كتابَه العديدَ من المباحث القديمة الموجودة في مصادر النحو السابقة؛ ولعل ذلك لأهميتها بالنسبة للعربي، وأهمل في كتابه بقية المباحث النحوية؛ لعدم احتياج العربي إليها.[14]

ولكن النحاة حين قصروا النحو على أواخر الكلمات وتعرف أحكامها قد ضيقوا من حدوده الواسعة، وسلكوا به طريقا منحرفة إلى غاية قاصرة، وضيعوا كثيرا من أحكام نظم الكلام وأسرار تأليف العبارات...، وفاتهم لذلك كثيرٌ من **فقه اللغة العربية** وتقدير أساليبها."[15]

ومما يدل على شمول مفهوم النحو وأنهم يقصدون به اللغة العربية والتفقه فيها أن علماء النحو واللغة أطلقوا على كتبهم أسماء كتب المعاني، مثل: معاني القرآن للفراء، ومعاني القرآن للأخفش الأوسط، ومعاني القرآن للزجاج، وأيضًا مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر ابن المثنى، وغير هذه كثير. وأرى أن هذه المؤلفات ونحوها هي التي كانت رافدا أساسيا لفكر الإمام عبدالقاهر واتجاهه الجميل؛ لكي يتمايز النحو البادي (إعراب أواخر الكلمات) والنحو العميق (فقه اللغة وخصائص التراكيب.)[16]

---

(13) الكتاب للإمام سيبويه، ص: 1/5-6.

(14) يمكن تقسيم كتاب "الصاحبي في فقه اللغة" إلى قسمين: **قسم خاص** بمسائل وموضوعات لغوية عامة، مثل: نشأة اللغة العربية وأفضليتها ولهجاتها والفصيح والمذموم من لغات العرب، ووجوه اختلافها وتطورها بمجيء الإسلام. **والقسم الثاني** تحدث فيه عن بعض الخصائص النحوية والبلاغية بعلومها الثلاثة وكذلك الصرفية، وبعض خصائص النظم، وبعض المسائل الدلالية، والأسلوبية. وقد نسج على منواله الإمام الثعالبي، مما يدل دلالة قاطعة على أن هذه الكتب امتداد لكتب النحو والصرف، وأن أسماءها نابعة من محتوى تلكم المصادر.

(15) إحياء النحو، دار الآفاق العربية، الأستاذ إبراهيم مصطفى، القاهرة، 1423/2003، ص: 2، 3.

(16) انظر: كتاب نظرية النحو القرآني، نشأتها تطورها ومقوماتها الأساسية، أحمد مكي الأنصاري، دار القبلة الإسلامية، ط/1، 1405هـ، ص: 90.

**المطلب الثاني: النحو رحمًا لعلوم البلاغة:**

الإمام عبدالقاهر يسمي النحو في كتابه دلائل الإعجاز "علمَ الإعراب"[17]، ويدرس تحتَه مباحث علم المعاني، بل يبدئ ويعيد فيها، مؤكدا على نظرية "النظم"، التي يعرِّفها بأنها "توخي معاني النحو." ثم يصرف جهدا كبيرا في إثباتها وضرورة الاهتمام بها؛ حتى ليخيل إلى القارئ أحيانا أنه إنما يخاطِب الأعاجم وليس العرب أو علماءَهم. وهذا يعني أن مفهوم النحو لديه –وهو في القرن الخامس– أعم وأوسع بكثير مما تفهمه المناهج التعليمية في المعاهد والكليات اليوم. ولذا عاب الإمام عبدالقاهر على من يظن الهدف من النحو هو معرفةَ الإعراب والبناء، ويختزله في هذا الجانب فحسب، يقول: "وأما النحو فظنَنْتَه –أي طائفة المعتزلة– ضربًا من التكلّف، وبابًا من التعسُّف، وشيئًا لا يستند إلى أصل، ولا يعتمد فيه على عقل، وأن ما زاد منه على معرفة الرفع والنصب، وما يتصل بذلك مما تجده في المبادئ، فهو فضل لا يجُدي نفعًا، ولا تحصل منه على فائدةٌ..." [18]

وهذا ما ميز نحو المتقدمين، إذ قد ضمت مباحثهم البلاغةَ ممتزجةً بالنحو؛ بحيث نجدهم يشيرون إليها في تحليلاتهم ومناقشاتهم ومناظراتهم، فلم يكونوا يفرقون بين النحو والبلاغة، ولم يكن النحو عندهم مجرد النظر في أواخر الكلمات من حيث الإعراب والبناء، وإنما النحو عندهم يشمل أيضًا تأليف الجملة، ونظمها، وسر تركيبها، وبيان ما فيها من حسن أو قبح. وقد اعترف الجرجاني بذلك في مواضع من دلائله، مشيرا إلى إدراك النحاة للدقائق، وأنهم أصحاب تمحيص واستقراء ونظر وتدبر لطيف.[19] رغم أنه كان يعيب عليهم قصور العبارة، والاكتفاء باللمحة الدالة، والإشارة الخاطفة.

نلاحظ في كتاب الإمام سيبويه، وكتاب أبي العباس المُبرِّد: "المقتضب" وغيرهما من مصادر نحوية أنها تركز كثيرا على الأساليب الرصينة وتحفل بالعبارات البليغة. وإن دقة عبارات سيبويه في تحديده لأنماط الكلام كانت مصدرا ملهما لدى من جاء بعده، وهذا يدل على أن النحاة المتقدمين كانوا أصحاب خبرة مرهفة بأساليب العرب؛ لذلك **"فهم أصحاب الفضل الأول في نشأة البلاغة، على الرغم من أنها كانت في البداية نظرات متناثرة هنا وهناك ضمن مباحثهم النحوية، ثم أتيح لمن أعقبهم أن يصوغ من هذه النظرات العابرة قواعد بلاغية ذات صبغة علمية.**[20]

ولكن أعقبتها مرحلة انشغل فيها النحاة بالعلل والأقيسة وأحوال البناء والإعراب والخلافات النحوية، وتوسعوا فيها أيما توسعٍ، حتى جاء عبد القاهر الجرجاني ففتح بابا جديدا –قديما– لدراسة النحو؛ مؤكدا على أن "الكلام نظم"، وأن رعاية هذا النظم واتباع قوانينه هي السبيل إلى الإبانة وإلإفهام، غير أن الحقيقة أن هذه المنهجية التي نادى بها الجرجاني إنما تلائم الطلابَ في مراحل الدراسات العليا، وباسم البلاغة وليس باسم النحو، بعد أن بات كتابُ الإمام سيبويه (النحو القديم) نهبا مقسَّمًا بين علوم لغوية وعربية شتى، وسيكون بالتالي من

(17) انظر: مقدمة دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق: محمود شاكر، ط/3 ، دار المدني بجدة، 1413هـ– 1992م، ص7-8.

(18) مقدمة دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، ص: 8. والإمام عبدالقاهر قبل أن يشتهر بالبلاغة وتشتهر به كان معروفا بعبدالقاهر النحوي، ولكنه توصل إلى أن الاكتفاء بالإعراب فقط غير كاف ولا مجد للتفقه في اللغة؛ لذا ربطه بالبلاغة، وعاب على الذين أساءوا الاعتقاد بالنحو، إذ كانوا لا يرون له فضلا إلا في معرفة الرفع والنصب والجر، وما إلى ذلك. وعليه وجب –برأي عبدالقاهر– تجاوز هذه القواعد والاهتمام بما وراءها. سيكون لهذا الكلام قيمة جميلة ودلالة طريفة لو تصورنا الإمام عبدالقاهر –رحمه الله– وكأنه ينحي باللائمة على اللجان المتخصصة بوضع المناهج التعليمية للغة العربية، وينتصر للطلاب الذين يتم استهدافهم بتلكم المناهج في المراحل التأسيسة.

(19) دلائل الإعجاز، ص: 315.

(20) أثر النحاة في البحث البلاغي، حسين عبد القادر، دار غريب للطباعة والنشر القاهرة، 1998م، ص: 3.

الظلم على طلاب المراحل الإعدادية والتأسيسية –بل حتى المرحلة الجامعية بأوضاعها الحالية– أن تُلقى إليهم كل هذه العلوم أو بعضها باسم قواعد الإعراب أو قواعد النحو.[21]

ولكن حتى في علوم البلاغة هناك مباحث لا تروق ذوق الطالب العربي ولا تنسجم مع طبعه، (مثل الحديث عن التقديم والتأخير والتعريف والتنكير والحذف والذكر وأساليب القصر والفصل والوصل..الخ مما عني به الإمام عناية شديدة)؛ ليس بسبب أن الطالب لا يحتاجها، ولكن لأن الطفل العربي يترعرع في بيئته وهو مبرمجٌ عَليها أصلًا، ولا يتعلمها من المناهج التعليمية أبدًا. ولا أعتقد أن هذه الحقيقة تخفى على أحد من العرب طلابا ومعلمين وأساتذة وأدباء وشعراء وغيرهم. إذن هذه المباحث ونحوها كما لا يصلح إدراجها ضمن قواعد الإعراب، تماما كما لا يصلح الآن دراسة مباحث علم البيان أو البديع تحت عنوان "النحو العربي"؛ –وإلا اعتبرتْ تلكم المسائل من قبيل أدواتٍ تنهض بالوظيفة الفنية والبلاغية للنحو، لا أكثر– فكذلك أرى ضرورة تخفيف كاهل مادة البلاغة في مراحل دون الجامعية عن المباحث السابقة؛ لكون الطالب العربي يعرفها بالفطرة.

## المبحث الثالث: الموقع الإعرابي لمصطلح "الإعراب"

لكي نبلور المعنى الشامل لمصطلح الإعراب يجب علينا أن نعود إلى معانيه اللغوية أولا، ثم استعمالاتها في عصر صدر الإسلام ثانيا، ثم ما قد آل إليه أمره في العصور المتأخرة ثالثا؛ وسوف يساعدنا ذلك على تحديد الوظيفة المناسبة لهذا المصطلح اليوم بداخل المناهج التعليمية للغة العربية.

### المطلب الأول: الإعراب في المعاجم اللغوية:

وردت لمادة هذه الكلمة وتصاريفها معانٍ عديدة في المعاجم اللغوية، يقال: عرُبَ لسانُه عروبةً وأعربَ إعرابًا: أي صار عربيا يبين ويفصحُ، والإعراب والتعريب بمعنى الإيضاح والإفصاح والإبانة في القول والحجة وعدم اللحن في الكلام.[22] ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: (الثَّيِّبُ تُعْرِبُ عَن نَفْسِهَا.)[23] وتعريب المنطق يعني تهذيبه؛[24] لذا كان أرجح ما قيل في تسمية "العرب" بهذا الاسم هو إعرابُ لسانِهم أي: إيضاحُه وبيانُه.[25] ومن معانيها: الجَولَان والإجالة، يقال: عربت الدابةُ؛ أي جالت في مرعاها، وأَعرَبَهَا صاحبُها؛ أي أجالَها.[26] وورد لفظ "الإعراب" بمعنى معرفة أصالة الفرس العربية أيضًا، يقال: "رجُلٌ مُعرِبٌ"، إذا كان معه فَرَسٌ عَرَبِيٌّ، وَ"فَرَسٌ مُعْرَبٌ": خلُصَت عَرَبِيَّتُه، و"أعْرَبَ

(21) انظر: قراءة في ملامح التفسير النحوي عند قدامى العرب، مجلة الإحياء، د. عزيز كعواش، كلية الآداب واللغات جامعة محمد خيضر، بسكرة، المجلد 20، العدد 25، جوان 2020، ص: 615).

(22) معجم العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ص: 128/2، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت 1404هـ – 1984م: ص: 179/1، ولسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت 1412هـ – 1992م، ص 577/1، وأساس البلاغة، الزمخشري، دار الفكر، بيروت 1415هـ– 1994، ص: 413). وبهذا المعنى استعملها الشاعر الكميت بن زيد الأسدي (ت 126هـ) في قوله: **وجدنا لكم في آل حاميم آيَـةً * تَأَوَّلَـــهَا مِنَّـــا تَـقِـــيٌّ وَمُعرِبُ**

ويعني بالمعرب: المُفصح بالتفصيل، وبالتقي: الساكت عنه للتَقِيَّة. (انظر: ديوان الكميت بن زيد الأسدي، تحقيق الدكتور نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط/1، 2000م، ص: 18).

(23) سنن ابن ماجة، ص: 602/1، رقم الحديث: 1872، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم: (1530).

(24) الصحاح، ص:217/1.

(25) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، الهيئة المصرية للكتاب، 1397هـ–1977م، ص: 2 /219.

(26) تاج العروس، ص: 336/3.

الرَّجُلُ: أي مَلَكَ خَيلا عِرَابًا.[27] كما يأتي "التعريب" بمعنى: الردّ عن القبيح أيضًا، يقال: عرَّبَ عليه: أي قبَّح عَليه كلامَه. والإعرابُ: ردّك الرجلَ عن القبيح.[28]

وبتأمل يسير في هذه المعاني يمكن ردها إلى معنى أساسي واحدٍ، وهو: الظهور والإبانة. فالمرأة الثيب تبين وتظهر ما في داخلها من الموافقة أو عدمها، والمرأة العَرُوب هي التي أبانت وأظهرت ما في داخلها من حب وتودد لزوجها، والفصيح في كلامه يظهر ويبين ما يريد على الوجه الأتم والأكمل، والذي يهذب كلامه ولا يلحن فيه يكون مبينا مظهرا لمنطقه العربي الأصيل؛ ومعرفة أصالة الفرس تبين وتظهر عدم هجنته، ولأن التشذيب وقطع السعف إبانة وإظهار لجذع النخلة بعد أن كان مغطى به. وتعريب الكلام على الرجل إظهارٌ وبيانٌ لفساده، الأمر الذي يقتضي ردَّه عن ذلك.

**المطلب الثاني: مفهوم الإعراب في ضوء بعض الأحاديث والآثار:**

هناك عشرات الآثار التي وردت فيها كلمة "الإعراب"، وبعضها تنسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم (وأسانيد أغلبها لا تسلم من مقال)، وقد ذكر أبو عبَيد القاسِمُ بن سَلاّم الهَرَوِيّ جملة منها في كتابه (فضائل القرآن) [29] أنتقي منها ما يأتي:

قال ابن سلام: روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أَعرِبُوا القُرآنَ وَالتَمِسُوا غَرَائِبَه."

قال: وروي أيضًا أنه صلى الله عليه وسلم قال: "مَن قَرَأَ القُرآنَ وَأَعرَبَ بِقِرَاءَتِه، فَمَاتَ عَلى ذَلكَ، كَانَ كَالشَّهِيدِ المُتَخَبِّط فِي دَمِه فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ."

وذكر أبو عبَيد القاسِمُ بن سَلاّم الهَرَوِيّ (ت: 224 هـ): نقلا عن أبي جعفر الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أَعرِبُوا الكَلَامَ كَي تُعرِبُوا القُرآنَ." قال: ثم قال أبُو جَعفَر: "لولا القرآنُ وإعرابُه مَا بَالَيتُ أنّي لَا أَعرِفُ مِنه شَيئًا."

وذكر أَبُو عُبَيد روايةً عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: "لَأَن أُعرِبَ آيةً مِن القرآنِ أَحَبُّ إلَيَّ مِن أن أَحفَظَ آيَةً."

وقال: روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: "تعلَّمُوا إعرَابَ القُرآنِ كَمَا تَعلَمُونَ حِفظَه."، وذكر عنه روايةً أخرى، أنه قال: "تَعَلَّمُوا اللَّحنَ، والفَرائِضَ، والسُّنَنَ كَمَا تَعلَمُون القُرآن." قال: وجاء في الرسالة التي كتبها الفاروق إلى أبي موسى رضي الله عنهما: "أمَّا بَعدُ، فَتَفَقَّهوا في السُّنَّة؛ وتَفَقَّهُوا فِي العَرَبِيَّة؛ وأَعرِبُوا القُرآنَ فَإِنَّه عَرَبِيٌّ؛ وَتَمَعْدَدُوا فَإِنَّكُم مَعَدِّيُّونَ."

وقالَ: روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "أَعرِبُوا القُرآنَ فإِنَّه عَرَبِيٌّ، وَسَيأتِي قومٌ يَثقَفُونَه، وَلَيسُوا بِخِيَارِكُم."

قال: ونسب ابن أبي شيبة العبسيُّ في مصنَّفِه إلى أمّ الدّرداء قولَها: "إنّي لَأُحِبُّ أن أَقرَأَه كَمَا أُنزِلَ، يَعني إعرابَ القُرآن."

ونقل عن أبيّ بن كعبٍ رضي الله عنه قوله: "تَعَلَّمُوا العَرَبِيَّة كَمَا تَعَلَّمُونَ حِفظَ القرآنِ." وغير ذلك من سنن وآثار.[30]

وليس هنا مقامُ الحديث عن مدى صحة هذه الروايات وبخاصة ما ينسب منها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، غير أن كثرة الروايات تشير إلى أن لها أو لبعضها أصلا، وأن بعض الصحابة استعملوا كلمة "**الإعراب**" قاصدين بذلك ما يسلم به النص القرآني من اللحن والخطأ في فهم معاني بعض الكلم القرآنية، ولعل أثرَ أبي بن كعب قد شرحَ معنى "الإعراب" بما كانوا يقصدونه به، ألا وهو التضلع باللغة العربية ومن ثم قراءة القرآن وفهمه في ضوئها.

والتركيز على إعراب القرآن من هذه الناحية أمر مفهومٌ؛ لكون المصحف الشريف في ذلك الوقت غُفلا عن التشكيل والحركات الإعرابية التي سوف تظهر لاحقًا. وضرورة الاهتمام بلغة العرب شعرًا ونثرًا أيضًا مفهوم؛ لما روي عن العديد من الصحابة من التأكيد على

---

(27) ومنه قول الشاعر: **وَيَصْهَلُ فِي مِثلِ جَوفِ الطوِيّ * صَـهِيـــلًا تَبَيَّـنَ لِلمُعْـــرِبِ**

أي: إذا سمعَ من له خيلٌ عِرابٌ صهيلَ هذا الفرسِ عَرف أنه عربي. (انظر: الصحاح، الجوهري، ص:1/ 179، ولسان العرب، لابن منظور، ص: 592/1).

(28) تاج العروس، الزبيدي، ص: 2 /218.

(29) انظر: فضائل القرآن، أبو عبيد القاسم بن سلام الجمحي، تحقيق مروان العطية، ومحسن خرابة، دار ابن كثير، دمشق وبيروت، ص 348-350.

(30) انظر: فضائل القرآن للهروي، ص: 348-350.

ذلك، مثل الفاروق عمر وابن عباس وغيرهما رضي الله عنهم. وهو أمرٌ يؤكده أيضًا ما روي عن الإمام نافع المدني (ت 170هـ)، أنه جاءَه رجل، فقال: خُذ عليَّ الحَدَر. فقال: مَا الحَدَر؟ ما أعرِفُها، أَسمِعنَا، قال: فَقَرَأَ الرجلُ، فقال نافعٌ: حَدَرُنَا أَلَّا نُسْقِطَ الإِعرَابَ، ولا نُشدِّد مُخفَّفا، ولا نُخفِّف مُشدَّدا، ولا نَقصُر مَمدُودًا، ولا نَمُدَّ مَقصُورا، قراءتُنا قراءة أكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، سهلٌ جزلٌ، لا نَمضَغُ وَلَا نَلُوكُ، نُسَهِّلُ ولَا نُشَدِّد، نَقرَأ عَلى أَفصَحِ اللغَاتِ وَأمضَاها، ولا نَلتَفِت إِلَى أَقَاوِيلِ الشُّعَرَاءِ وأَصحَابِ اللغَاتِ، ... نَسمَعُ فِي القُرآنِ ولَا نَستَعمِلُ فِيه الرَّأيَ...الخ".[31]

والمراد بـ"الإعراب" في قوله هو –برأيي– الالتزام بالحركات الإعرابية التي أتى بها الإمام الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ) رحمه الله تعالى؛ لأنهما معاصران وتُوفِّيا في نفس العام.

## المبحث الرابع: الإعراب ومكانته في علم النحو

### المطلب الأول: الإعراب بين النظرية والحاجة إلى التطبيق:

قال ابن هشام (ت761هـ) معرِّفا الإعراب: هو "أثر ظاهر أو مقدر يجلبه العامل في آخر الاسم المُتَمَكِّن والفعلِ المُضارع."[32]

ولم يختلف تَعريف المعاصرين للإعراب عن هذا التعريف حتى اليوم؛ فتوارثه اللاحقون عن السابقين بالحرف تقريبا. يقول مثلا الشيخ مصطفى الغلاييني (ت 1886م): "الإعراب: أثر يُحدثه العامل في آخر الكلمة؛ فيكون آخرُها مرفوعاً أو منصوبًا أو مجرورا أو مجزوما، حسب ما يقتضيه ذلك العامل."[33]

أما مدى الحاجة إليه فإن حكاية الإمام نافع المدني السابقة تنطوي على أمر لافت، وهو أن **"أسلوب الدَّرَج أو الرفرفة"** على أواخر الكلمات وعدم إظهار العرب (أو بعضهم) للحركات الإعرابية يبدو أنه لم يكن مقصورًا على أحاديثهم التلقائية وفي تخاطبهم اليومي وحسب، بل إنه كان يتعدى ذلك حتى إلى أسلوب بعض القراء في قراءة القرآن الكريم أيضًا، كما نستشفُّ ذلك من هذه القصة؛ حيث إن ذلك القارئ قرأ القرآن الكريم وهو يرفرف على الحركات الإعرابية ولا يظهرها، ويظنها نوعًا من الحدر، أو قراءة الحدر ذاتها، حتى أنكر الإمام نافع ذلك عليه في القرآن الكريم.

ويبدو –مرة أخرى– أن هذا القارئ قرأ هذه القراءة على سجيته، إذ ليس كل تالٍ للقرآن الحكيم المجرد من الحركات الإعرابية يحسن قراءته ترتيلا أو حدرا؛ فاحتمال الخطأ وارد بالتأكيد؛ الأمر الذي يفرض على القراء أن يتقنوا المهارات اللازمة لإحسان تلاوة كلام الله، ومنها طبعا اللغة العربية؛ ولذلك، حين سأل بعضهم الإمامَ الحسنَ البصري (ت 110هـ): قائلا: يا أبا سعيد، الرجل يتعلم العربية، يلتمس بها حسن المنطق، ويقيم بها قراءته؟ أجابَ الإمام حَسَنٌ: يا ابنَ أخي، فَتَعَلَّمْها؛ فإن الرجلَ لَيقرَأ الآيةَ فيَعيَا بِوجْهِهَا، فَيهْلَكَ فِيها." [34]

---

(31) انظر: جمال القراء، عَلَمُ الدِّينِ عليُّ بنُ محمَّدٍ السَّخَاوِيُّ (ت:643هـ)، ص: 525/2– 543، الكتاب التاسع: منهاج التوفيق إلى معرفة التجويد والتحقيق.
وأعتقد أن هذا هو المعنى الذي قصد إليه الشاعر لاحقا حين قال زاجرا لبعض النحاة ممن كان مولعا بالتكلف والتشدق:

**ولست بنحوي يلوكُ لسانه * ولكني سليقي أقول فأعربُ**

البيت لأبي مروان عبد الملك بن سراج الأندلسي (ت 489هـ)، وصفه الإمام الذهبي في كتابه تذكرة الحفاظ بقوله: "الشيخ الإمام المحدث اللغوي الوزير الأكمل."
ينظر: ( http://hadithtransmitters.hawramani.com/)

(32) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ابن هشام، مكتبة الكليات الأزهرية، ميدان الأزهر، القاهرة، ص: 42.

(33) مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، ط،17 جيدا، بيروت 1404هـ – 1984م.

(34) فضائل القرآن، أبو عبيد القاسم بن سلام الجمحي، ص 349.

ويؤيد هذا الرأي جوابُ الإمامِ مكحول الشامي (ت 118هـ) رحمه الله لمن سألَه عن قراءة القرآن بالعربية، بأنه "حَسَنٌ، مَا لَم تَبْغِ فِيهَا."[35]

وأحسب أن هذين الإمامين يقصدان بالعربية هنا "ما قصدَه الإمامُ نافعٌ من "الإعراب"؛ لأن علم النحو كان مشهورًا بعلم "العربية" أيضًا، الذي يتضمن معرفة الألفاظ، وتبيّن دلالاتها وإظهار معانيها وجعلها سبباً يوصل إلى تحديد المراد بها. ومعلومٌ أنه قد توقف بعضُ العرب الأقحاحِ –ممن نزل القرآن بلغتهم– في ألفاظ لم يعرفوا معناها، فلم يقولوا فيها شيئا. كما يمكن أيضًا أن يكون المراد بـ"الإعراب" ما يقابل اللحنَ؛ لأن القراءة مع فقده لا يُسمَّى قراءةً أصلا، ولا ثوابَ عليها. وإلى هذا ذهب الإمام السيوطي حين صرَّح بأن: "معنى هذه الآثار عندي: إرادة البيان والتفسير؛ لأن إطلاق الإعراب على الحكم النحوي اصطلاحٌ حادثٌ، ولأنه كان في سليقتهم، ما يحتاجون إلى تعلمه."[36] ويؤيد ذلك أن الإمام نافع لم يخفِ تحفظه على بعض ما يَستَشهِدُ به النحاة من أشعار الشعراء أو لغات العرب، مما يشوبه –أحيانًا– نوع من المبالغة في التأويل والتكلف في الاستدلال.

**المطلب الثاني: نسبة الإعراب إلى بقية عناصر اللغة وعلومها:**

قد علمنا أن مصطلح "الإعراب" من أبرز الأمور المتعلقة بالنحو وألصقها به، حتى ليكاد يكون بديلا عن مصطلح "النحو" من حيث الدلالة على هذا العلم، وقد تأثر بعض المعجميين المتأخرين مثل ابن منظور في لسان العرب بهذا المفهوم؛ فاعتبر الإعراب هو النحوَ؛ حيث قال: والإعراب الذي هو النحو إنما هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ. ثم قال: والنحو إعراب الكلام العربي. ومثل ذلك نجده أيضًا عند ابن الأثير في كتابه المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر.[37]

وقال ابن خلدون: (...ولكل مقام عندهم مقال يختص به بعد كمال الإعراب والإبانة. ألا ترى أن قولهم "زيد جاءني" مغاير لقولهم "جاءني زيد" من قِبَل أن المتقدم منهما هو الأهم عند المتكلم. فمن قال "جاءني زيد" أفاد أن اهتمامه بالمجيء قبل الشخص المسند إليه، ومن قال "زيد جاءني" أفاد اهتمامه بالشخص قبل المجيء المسند، وكذا التعبير عن أجزاء الجملة بما يناسب المقام من موصول أو مبهم أو معرفة.)[38].

علق الأستاذ حسان تمام على كلام ابن خلدون قائلا: (ولم يكن أقل من هاتين العبارتين (يقصد: لكل مقام مقال، ولكل كلمة مع صاحبتها مقام) صدقًا في تحليل اللغة بصفة عامة ما سبق النحاةُ العربُ إليه من قولهم: الإعرابُ فرع المعنى، فهذه أيضا واحدة من جوامع الكلم إذا فهمنا بالإعراب معنى التحليل؛ لأن كل تحليل لا يكون إلا عند فهم المعنى الوظيفي لكل مبنى من مباني السياق.)[39]

وكلام الإمام ابن جني صريح وقوي جدا في هذا الأمر حين يقرر أنه "ليس غرضنا فيه الرفع والنصب والجر والجزم؛ لأن هذا أمر قد فُرغ منه في أكثر الكتب المصنفة فيه منه، وإنما هذا الكتاب مبني على إثارة المعاني وتقرير حال الأوضاع والمبادئ.)[40]

نعُودُ إلى التعريف الاصطلاحي للإعراب، لكي نجده قد حصَر وظيفة النحو في زاوية محدودةٍ جدا، ألا وهي معرفة القواعد التي تساعدنا على صحة ضبط أواخر الكلمات بداخل الجملة، ليس إلا. ولكن من التناقض العجيب أن المؤلفات النحوية حتى في هذا العصر ما زالت مشتملة على جل تلكم المعارف التي تضمنتها مصادر النحو قديما! وإن سَمَّت نفسها اليومَ بأسماء مغرية توحي بغير ذلك، مثل تسهيل النحو،

---

(35) السابق. والمراد بقوله: "ما لم تبغِ فيها": قصد الخيلاء، والتطاول على العلماء، كما صرَّح بذلك الإمام أبو حازم رحمه الله في قوله: **"لا تكونُ عالِمًا حتى يكونَ فيكَ ثلاثُ خصالٍ: لا تَبغِ عَلى مَن فوقَك، ولا تَحقِر من دُونك**، ولا تأخذْ على علمك دنيا." (تهذيب سير أعلام النبلاء، ص: 636/2).

(36) الإتقان في علوم القرآن، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: وزارة الأوقاف السعودية، ص: 465/2.

(37) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،ضياء الدين ابن الأثير، تقديم وتعليق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، ص: 49/1.

(38) مقدمة ابن خلدون ، دار الجيل ، بيروت ، (د، ت) ص: 609.

(39) اللغة العربية معناها ومبناها، د. حسان تمام، عالم الكتب، القاهرة ط/3، 1998، ص: 372.

(40) الخصائص، ص: 1/32.

وتهذيب النحو أو النحو المصفى أو خلاصة النحو وهلم جرا. ألم يكُ مقتضى هذا التعريف الحديث للنحو ألَّا تتعرض هذه الكتب إلا للمسائل والقواعد التي تعلم الطلاب طريقة ضبط أواخر الكلمات فقط؟ إذن لماذا يتم شحنها بتلكم المسائل والمباحث التي قد يحتاجها الطلاب العرب أو لا يحتاجونها أصلا؟ برأيي لو أن المناهج الدراسية في المراحل التأسيسية اكتفت بأُمَّات المسائل النحوية فقط لما كان هناك سوء ظن بالنحو ولا بقواعدها، ولَمَا تعدى هذا الظن السيء إلى اللغة العربية ذاتها!

**المطلب الثالث: التركيز على الإعراب بكل أنواعه ونتائج ذلك:**

هذا الكلام يعكس تجاربي الذاتية التي استفدتها في أثناء تدريسي المساقات اللغوية للطلاب العرب، ولست بمتأثرٍ فيها بأي عالِم قديم أو مُحْدَثٍ، وقد تحولت نتيجة هذه التجارب عندي إلى قناعة بل عقيدة من الصعب أن تتغير، وهي أن هناك مباحث في النحو والصرف لا يحتاجها الطالب العربي، بل إني أراها فتنةً له؛ ومن تلكم المسائل مثلا: إعراب الكلمات المبنية، والجمل التي لها محل من الإعراب والتي ليس لها ذلك، وأنواع الخبر والحال والتمييز وأنواع الضمائر..الخ، لماذا كل هذه الأشياء؟ ولمن نحاول تعليمها؟ أليس الهدف من تعليم القواعد هو إعانةَ المتعلم على فهم الكلام وإفهامه؟ أليس الطالب العربي قد زودته الفطرة بهذه المقاييس والقدرات التي عن طريقها يفهم معنى الكلام من غير أن يتعلم مباحث ومسائل كهذه التي أشرتُ إليها؟ أفليس لي الحق في أن أقول بأن المناهجَ التعليمية لم تنصف الطالب العربي ولم تقدِره حقَّ قدره ولم تعرف حاجاته، ولم تهتم بما يلبي رغباته وينسجم وميولَه وذوقَه كما كان ينبغي؟!

وإن الألم ليعتصر القلب ويكاد يقطع نياطه حين أدخل على الشبكة العنكبوتية فأرى جهودا عجيبة وغريبة ورهيبة في التفنن في تشجير وتخطيط المباحث النحوية لتلاميذ وطلاب المراحل الإعدادية! لقد كان يكفي المناهج التعليمية من الحلي ما يحيط بالجيد!

ألَم تعلم لجان المناهج التعليمية المؤقرة أن الكلمات التي تُعرب بحركات ظاهرة ليست بالكثيرة إذا ما قارناها إلى ما يعرب بغير العلامات الظاهرة. أوَ لَم يأتِها أيضًا أن الاعتماد على علامات الإعراب –بزعم أنها هي الوحيدة التي تحدد المعنى المراد من الكلام– قد أعطاها أكثر من حقها بكثير جدا؟ وربَّ إيثارٍ ينطوي على بخس حقوقٍ لآخرين! فلو كان الإعراب –فقط– هو الذي يساعد على فهم الكلام العربي لما فهم الناسُ –من غيرِ النحاةِ– بعضُهم بعضًا، ولا تفاهمت –فيما بينهم– المُجتمعاتُ ولا المؤسساتُ ولا الشركاتُ ولا المصانعُ ولا مختلَفُ الفئاتِ في شتى التخصصات والمجالات المختلفة بداخل الدول العربية!

إن صنيعنا غير الرشيد هذا قد جرحَ بداخل الطلاب تلكم المحبة الصادقة والرغبة العارمة ومشاعر الانتماء والاعتزاز الجياشة التي ينشأ العربي المسلم وهو يكنها للغة العربية؛ لأنها لغة كتاب ربه جل وعلا، ولغة رسولِه ولغة الثقافةِ العربيةِ والحضارة الإسلامية على امتداد قرون! يقول لي العديد من الطلاب العربِ بأن اللغة العربية أصعبُ لغة أو من أصعب اللغات!

ثم على افتراض أن بعض طلاب المراحل الإعدادية قد أتقن هذه المصطلحات النحوية التي تُعلِّمها لهم مقرراتُ النحو فيا ليت شعري ما الذي يستفيده منها، زيادةً على ما كانَ يفهمُه من الكلام قبل معرفة هذه المصطلحات؟ وما ضرَّ الطلابَ الذين لم يعرفوا تلكم المصطلحات مادامو يفهمون معنى الكلام وفحوى الحديث؟

إن حفظ المتون اللغوية وإتقان هذه القواعد النحوية والصرفية فحسب لا يمكنها صناعة لغوي أو خلق أديب أو كاتب أو شاعر أبدا! بل الأدوات التي تحيي السليقة لدى الطالب أو تستعيدها له هي التي نؤمل فيها الخير ونعقد عليها الرجاء في كل ذلك، وهي غير القواعد الإعرابية المعدودة التي تعلمها المناهج التعليمية للطلاب. والتفصيل فيما يأتي التفصيل:

## المبحث الخامس: السليقة واللغة العربية

**المطلب الأول: السليقة في اللغة:**

السَّلِيقَةُ كسَفِينَة: الطَّبيعَةُ والسَّجِيَّةُ، وقالَ ابنُ الأعْرابِيّ: السَّلِيقَة طبْعُ الرَّجُلِ، وقالَ سِيبَوَيهِ: هذه سَلِيقَتُه الّتِي سلِقَ عليها وسُلِقَها. ويُقال: فُلانٌ يَقْرأ بالسَّلِيقَةِ، أَي: بطَبِيعَته، لا يتَعَلَّمُ. وقال أَبو زَيْد: إنّه لكَرِيمُ الطبِيعةِ والسَّلِيقَة. ومن سَجَعاتِ الأساس: الكَرَمُ سَلِيقَتُه، والسخاءُ

خَلِيقَتُه. ويُقال: فلانٌ يَتَكَلمُ بالسَّلِيقِية- مَنْسُوبٌ إلى السلِيقَةِ، قالَ سِيبَوَيْهِ: وهو نادرٌ. أي: عن طَبْعِه لا عَنْ تَعَلُّم. ويُقال: فُلان يَقْرَأ بالسلِيقِيَّةِ، أَي: بطَبْعِه الَّذِي نَشَأ عليه. وقالَ اللَّيْثُ: السَّلِيقِي من الكلام ما لا يُتَعاهَدُ إِعْرابُهُ، وهو فَصِيحٌ بليغٌ في السمع عَثُورٌ في النَّحوِ. وقالَ غيرُه: السَّلِيقِي من الكلام ما تكَلَّمَ به البدوِيُّ بطَبْعِه ولغَتِه، وإِن كانَ غَيْرُه من الكَلام آثَرَ وأَحسَن.[41]

**المطلب الثاني: السليقة في الاصطلاح:**

من خلال كلام أهل المعاجم اللغوية يمكننا صوغ مفهوم اصطلاحي تقريبي للسليقة كما يأتي: إنها التعبير بالكلام العربي عن مَلَكَةٍ وسجيَّةٍ من غير تعلُّمٍ، على أن يكون صحيحًا فصيحًا بليغًا، وإن لَم يُحتَفَل فِيه بالإعرابِ.[42]

**المطلب الثالث: سبيل اكتساب السليقة اللغوية:**

لا أشك أن أفضل وأيسر وأحسن سبيل لتكوين السليقة أو الملكة اللغوية وتقويم اللسان واليد وإتقان المهارات اللغوية هي العيش في بيئة اللغة نفسها، والاستماع لأهلها الأصليين، ومخالطتهم وحفظ ما يَرِد على المسامع من شذرات كلامهم نثرًا وشعرًا، وليس السبيل إلى ذلك قطعا هو مجرد حفظ القواعد والقوانين النحوية أو الصرفية. وهذه القناعة تكونت لدي عبر تجاربي الذاتية من خلال تدريسي للطلاب من العرب وتلمُّس حاجاتهم، ولم يزدها مرور الأيام إلا قوة ورسوخا لدي؛ ولا يمكن العدول عن هذا الرأي. ولقد نظرتُ في كتب بعض العلماء الأعلام في التاريخ فازددتُ يقينا إلى يقين واطمئنانا إلى اطمئنان.

فهذا الإمام الإمام الجاحظ (ت 255هـ) يرشدنا إلى أقوم طريق إلى تعلم اللغة واكتسابها من غير ما عناءٍ أو نصبٍ أو تعب، فيلحُّ على الرواة والمتأدِّبين أن يستمعوا إلى حديث الأعراب العقلاء والفصحاء وإلى العلماء البلغاء، لأنه "ليس في الأرض كلامٌ هو أمتعُ ولا ألذُّ في الاستماع، ولا أشدُّ اتصالا بالعقول السليمة، ولا أفتقُ للِّسَان ولا أجودُ تقويمًا للبيان من طول استماع حديثِ الأعراب العُقَلاء الفُصَحَاء.)[43] مؤكدا على ضرورة التدرُّب والتمرس على استعمال اللغة، وتعلمها بواسطة النصوص اللغوية والأدبية، فيطالبهم -في إصرارٍ- بالاهتمام بحكاية النوادر من كلام الأعراب، مع إعرابِها ومخارج ألفاظها، فلا يُلحن في إعرابها.[44]

والنبرة ذاتها تقريبا نجدها عند الإمام الكبير أحمد بن فارس القزويني الرازي (ت 395هـ) رحمه الله، وهو لغوي لا يبارى، ونحوي لا يجارى، وقد كان يشكو متألما من قصر باع بعض المُشتغلين بعلوم الشريعة في اللغة وعلومها، فيلومهم، وأحيانا يتهكم بهم، ويدبج في نهجهم غير السويّ هذا رسائل وكتيبات أو فصولا؛ لكي يصرفوا شيئا من اهتمامهم إلى اللغة العربية كذلك. والذي يهمنا هنا هو أن طريقة إتقان اللغة أو اكتساب ملكتها لديه ليست هي الاهتمام بقواعد النحو والصرف وحفظها وإتقانها، بل السبيل إلى ذلك هي أن تؤخذ اللغة اعتيادًا كالصبي العربي، يسمع أبويه وغيرهما، فيأخذ اللغة عنهم على مر الأوقات، وتؤخذ تلقنًا من ملقِّن، وتؤخذ سماعًا من الرواة الثقات ذوي الصدق والأمانة.[45]

إذنْ، فالأصل في طريقة تعلم اللغات وتحصيلها وتكوين الملكة اللغوية إنما هو المحاكاة والتفاعل بين الطالب والبيئة، وهو ما يُعرف بنظرية المحاكاة أو النظرية المعرفية.[46]

---

(41) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، مادة (س ل ق).

(42) أضفتُ كلمة "الملكة" إلى المفهوم الاصطلاحي؛ لأن ابن خلدون يرى في كتابه "المقدمة" أن الملكة اللسانية تسبق الطبعَ والسجية، فهي تتمكن وتترسخ في النفس أولا ثم تبدو في بادئ الأمر أنها جبلة وطبع.

(43) البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، 1418هـ-1998م، ص 145/1.

(44) السابق، ص 145/1-153).

(45) انظر: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية، أحمد بن فارس القزويني الرازي، تحقيق السيد أحمد صقر، ص: 48.

(46) انظر: البحث اللغوي عند إخوان الصفا، د. أبو السعود أحمد الفخراني، مطبعة الأمانة، شبرا، مصر، الطبعة الأولى، 1411هـ-1991م، ص: 178.

ثم نلتقي بعد هذين العلمين العظيمين بالحبر اللوذعي والإمام العبقري ابن خلدون (ت 808هـ) رحمه الله تعالى، فأشبع هذا الموضوع بحثا ونقاشا بحيث لم يترك لمن بعده شيئا يضيفه إليه. فكلامه في هذا الموضوع أدقُّ وأقومُ وأكثر تفصيلا وتأصيلا؛ حيث قرر أن اللغاتِ كلَّها ملكاتٌ في اللسان للتعبير عن المعاني، وجودتُها وقصورُها بحسب تمام الملكةِ أو نقصانها، فإذا كانت الملكة تامةً فستأتي المفرداتُ والتراكيبُ حسب مقتضى الحال؛ وهذا المستوى هو الذي يطلق عليه "البلاغة."[47]

وعن كيفية تكوُّن هذه السليقة يقول ابن خلدون أن: "الملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال؛ لأن الفعل يقعُ أولًا وتَعُودُ منه لِلذَّاتِ صِفَةٌ، ثم تَتَكَرَّرُ؛ فتكونُ صفةً غيرَ راسخةٍ، ثم يزيدُ التكرارُ؛ فتكُونُ مَلَكةً.[48] ويقول: "وهذه الملكة إنما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرُّرِه على السمع، والتفطنِ لخواصّ تراكيبه، وليست تَحصُل بِمعرفة القواعد العلمية التي استنبطها علماءُ اللسان؛ فإن هذه القواعد إنما تفيد علمًا بذلك اللسان، ولا تفيد حصول الملكة بالفعل."[49]

وابن خلدون –رحمه الله تعالى– يسمي الملكة بـ"الذوق" أيضًا، ويقصد به حصولَ ملكة البلاغة للسان، ولكي يتحصل عليها الطالب يجب عليه أن يسلك نفس المسلك السابق. وإنَّ من ثمار تحصيل هذه الملكة أن صاحبها لو رام حَيدًا عن هذه السبيل المُعَيَّنة والتراكيب المخصوصة لَمَا قَدَرَ عَليه، ولا وافقَه عَليه لِسانُه، وربما يعجز عن الاحتجاج لذلك، كما تصنع أهل القوانين النحوية والبيانية؛ فإن ذلك استدلالٌ بما حصل من القوانين المفادة بالاستقراء، وهذا أمرٌ وِجدانيٌّ حَاصلٌ بممارسة كلام العربِ حتى يصيرَ كواحدٍ منهم.[50]

وقد مثَّل ابنُ خلدون لذلك بما مثل به سلفه ابن فارس، أي بالصبي ينشأ في بيئة عربية، فإنه سيتعلم لغتَها ويُحكمُ شأن الإعراب والبلاغة فيها؛ حتى يستولي على غايتها، وليس من العلم القانوني في شيء، وإنما هو بحصول هذه الملكة في لسانه ونطقه، وكذلك تحصل هذه الملكة لمن بعد ذلك الجيل بحفظ كلامهم وأشعارهم وخطبهم والمداومة على ذلك، والقواعد بمعزل عن هذا.[51]

فالطالب الذي يروم تعلم اللغة وإتقان مهاراتها لا بد له من كثرة الحفظ، ولا يشترط ألبتة حفظُ القواعد أو المنظومات النحوية أو الصرفية لتحقيق هذا الغرض. أما الاكتفاء بالتركيز على القواعد دون بناء أرضية صلبة في اللغة فالواقع خير شاهد على أن هذا المسلك نوع من الطعن في الريح، أو الطحنِ الماء، فهو لَم ولن يثمر كما ينبغي، حتى لو مضت عليه قرونٌ كما قد مرت عليه عشرات السنين قبلُ، وكانت النتيجة هي التي بين أيدينا.

إن الانشغال بالقواعد النحوية عن الأمور الأساسية التي منها التفكير والتعبير والحديث والكتابة هو الذي أدى إلى هذا الواقع المرير وتفاقمه! ولو أن الطلاب انشغلوا وقبلهم معلموهم والتربويون عن تعلم مجرد القواعد النحوية وحفظ منظوماتها وركزوا اهتمامهم على ما هو الأساس والأصل في اللغة؛ لَجَاءَت إليهم كل العلوم والفنون اللغوية طائعةً خاضعةً متذللة، من أمثال: نحو وصرف وعروض وقافية ومعجم لغوي وفقه اللغة، وقيم تعبيرية وخصائص جمالية وأساليب بلاغية، ومعان وأفكار وبديع، إضافة إلى فن الخطابة والإنشاء، ناهيكم عن المعارف والمعلومات التاريخية والاجتماعية والعلوم الإنسانية والتجارب الحياتية التي سوف يظفرون بها أثناء معايشتهم للنصوص اللغوية بصنفيها الشعر والنثر، وَلَقَوِيتْ لديهم كذلك الملكات اللغوية، وَلَعَادَت إليهم السليقةُ من مرقدها، ولَسلَّمت إليهم فنونُ النقد وطرائق التذوق والتحليل –طرية الكبد غضةَ الإهاب– قيادَها وزمامَها..الخ.

## المبحث السادس: صياغة شخصية الطالب لغويا: حلولٌ مقترحةٌ ومُخرَجَاتٌ مرجوّةٌ

(47) انظر: مقدمة ابن خلدون ص: 1388–1390.

(48) انظر: السابق، ص: 1388–1390.

(49) انظر: السابق، ص: 1399–1402.

(50) انظر: السابق، ص: 1388–1390.

(51) انظر: السابق، ص: 1423.

**المطلب الأول: حلول مقترحة لتقوية السليقة في شخصية الطالب العربي:**

كيف نستطيع صبغ شخصية الطالب العربي بألوان لغوية زاهية، بحيث إذا تحدث فكأنما اللآلئ تنتثر من شفتَيه، وإذا أنشأ يكتب فكأنما الأمواج تنساب من يديه، وإذا سمعه الجمعُ عربا أو عجما أهلوا: إليه إليه؟ أقدم فيما يأتي مرئياتي حول الأساليب والطرق التي أرى أنها سوف تعزز القدرات اللغوية لدى متعلمي اللغة العربية وتحببها إليهم، وتقضي على الضعف اللغوي الذي ابتلوا به:

- شخصيًّا، أعتبر تدريس النحو والصرف والبلاغة والعروض والقافية حسب الطريقة المروجة كمن يطعن في الريح جاهدًا، أو كظمآن يلهث يبتغي ماءً؛ وفي النهاية لا يلقى إلا السراب، أو كمن يجدّ ويكدّ لتوفير أفضل أنواع مواد البناء، لكنه لا يمتلك قطعة أرض يشيد فوقها بنيانه؛ فتتطاير بها الريح وتشتد، فترميها في مكان سحيق، فيظل يقلب كفيه على ما جدَّ واجتهد وبذل وتعب!
- أرى ضرورة التخفف من قواعد الإعراب والصرف بأقصى ما يمكن في المرحلة الجامعية، وحذفها من جميع الصفوف السابقة نهائيا ما عدا الثانوية فقط على أن يتم تعريف الطلاب هناك في أثناء تدريس النصوص اللغوية والأدبية بأهم المصطلحات النحوية والصرفية والبلاغية والعروضية. وأنا على يقين بأنه يمكن تنفيذ وتحقيق ذلك في دورتين أو ثلاث دورات مكثفة.
- تصفية النحو من كل ما لا يدخل تحت مفهومه الاصطلاحي اليوم، وترحيل ما سوى ذلك إلى مساقات أخرى، مع عدم التطرق إلى الخلافات النحوية والصرفية بتاتا إلا للمتخصصين؛ لأن معظم الخلافات النحوية والصرفية هي من قبيل لغات العرب ولهجاتهم الخاصة، ولا يرد أغلبها إلا في الأبيات الشعرية التي يجوز للشاعر فيها أصلا أن يخالف بعض الثوابت اللغوية لضرورة شعرية، وهي لا ترد قط في الكلام المنثور، اللهم إلا فيما شذ أو ندر.
- لقد قمتُ بتلخيص قواعد الإعراب، فلم تتجاوز عشرين (20) صفحة فقط مع أنني أوردت للقاعدة الواحدة عدة شواهد من القرآن الكريم والسنة النبوية وأحيانا من كلام الشعراء أو من عندي. وكان يمكن تقليص عدد الصفحات إلى أقل منها لو أني اكتفيتُ بشاهدَي عدل اثنين فقط لكل قاعدة. وقد عرضت هذه الرسالة، المعنونة بـ**"مُغني الطالِبِ العَرَبِيّ اللَّبِيبِ عن كُتُبِ النَّحو وَالصَّرفِ والأَغَارِيبِ)** على طلابي وطالباتي بالكلية؛ ففرحوا كثيرا، وشهدوا بأنهم يستطيعون فهم القواعد الإعرابية من خلال هذه الرسالة حتى من غير معلِّم.
- التركيز في علم الصرف على الأبواب الثلاثية والرباعية المزيد فيها والملحقة بها، وبخاصة تلك التي يقل دورانها على الألسنة حاليا؛ لكنها موجودة في كتب الحديث والتراث بشكل عام، مثل: تفَعلُل، كتدحرج، وتفَعْوُل، كتَرَهْوك، وتلعْوُذ، وتَفَيْعَل، كتشيطَنَ، وتَفَوْعل، كتَجَوْرب، وتَمَفْعُل، كتَمَسْكُن، وتَمَرْكُز، وتَمَعْدُد، وافعِنلَال، كاحرنجام، وافعِيعَال، كاعشِيشَاب، واخْشِيشَان، وافعِلَّال، كاقشعْرار، واطمئنان، وافعيلال، كاخضيرار وادهيمام ونحو ذلك، كل ذلك لكي يعرفوا طريقة تجريد الكلمات من الحروف الزائدة. ولا أشك أن مبحث بيان خصائص الأبواب في علم الصرف مهم ومفيد ولطيف جدا غير أنه حاليا يندرج في باب فقه اللغة.
- تصفية قواعد الأعراب من العناصر والمفردات التي ليست وثيقة الصلة بتحقيق مخرجات التعلم، وكذلك تهذيبها مما له ارتباط بعلوم البلاغة أو الأصول والمنطق والفلسفة.
- من المعلوم أن قواعد الإعراب والصرف والبلاغة لا تختلف في جوهرها وطبيعتها باختلاف المراحل الدراسية أو تنوع الكتب المؤلفة فيها. والمؤلم مع ذلك أن يدرسها الطلاب من المرحلة المتوسطة –بل الابتدائية– حتى الدراسات العليا ثم لا يتقنها الكثير منهم بما يكفي! من هنا يأتي ضرورة عقد دورات مكثفة شاملة لكافة القواعد الإعرابية، وأغلب الظن أن الطلاب سوف يتقنون في هذه الدورات ما لم يتقنوها عبر سنين ذوات عدد.
- إعادة تسمية علم النحو والصرف إلى "قواعد الإعراب والصرف" لتكون التسمية دقيقة.
- مما لا يختلف فيه اثنان أن علم النحو والصرف والبلاغة لوحدها لَم ولن تنتج أديبا ولا شاعرا ولا كاتبا صالحا، أو تعينَ على تكوين السليقة العربية أو استعادتها، ولو صح ذلك لكان الأدباء والشعراء الكبار اليوم هم من الأعاجم الذين يتقنون قواعد النحو والصرف والبلاغة أيما إتقان ويحفظونها كالفاتحة، بل ويؤلفون الكتب والشروح والحواشي فيها بلغاتهم المحلية، إلا أن أغلبهم يعجز عن كتابة فقرة

بالعربية السليمة ويحتار في التعبير عن أبسط فكرة تجول في خاطره تعبيرا سليمًا. والواقع خير دليل على أن هذه الطريقة التعليمية عقيمة، وقد ابتلعت عشرات السنين من أعمار الطلاب والعلماء من غير أن يتغير الواقع إلى ما ينبغي. بل –بالعكس– أثرت سلبا على الحصيلة العلمية في بقية العلوم والفنون العربية والإسلامية أيضًا. أرى أنه قد آن الأوان أن نجرب طريقة الآباء الأولين.

**المطلب الثاني: مخرجات الطريقة التعليمية الجديدة حال تطبيقها:**

- هناك طلاب وأناس –في كل عصر ومصر– قد تكون معلوماتهم في النحو والصرف متواضعة جدا، لكنهم بسبب حرصهم على حفظ كلام العرب بمختلف أصنافه أصبحوا قادرين على قرض الشعر باللغة العربية الفصحى، وكأنما قد أدركوا عصور الاحتجاج وخالطوا أهلها دهورا.
- التركيز على جانب الرواية والتخفف من القواعد النظرية سوف يؤدي بالطلاب إلى استعادة السليقة العربية أو تقويتها لديهم.
- أعتقد أننا إذا نجحنا في تطبيق هذه الطريقة –الجديدة أو المطورة– في تعليم المساقات العربية فإنها –بعون الله عز وجل– سوف تمد الطلاب بقدرات علمية وعقلية كبيرة وتزودهم بمهارات فكرية عالية، وتخلق منهم كتَّابا ومؤلفين ومفكرين وقاصِّين ومسرحيين وروائيين...الخ.
- التفقه في الشرع فرض كفاية وعبادة وفضيلة، وفي ذات الوقت مسؤولية جسيمة، فالضعيف في العربية يخشى عليه من الانحراف أو التعسف في بعض المسائل، فالتفقه في العربية ينبغي أن يسبق التفقه في العلوم الشرعية. وليس النحو والصرف والبلاغة – بالنسبة للعربي خاصة – إلا جزءا يسيرا من الأدات اللازمة لتحقيق التفقه في اللغة، تماما كما قال بعض الأئمة أن النحو في الكلام كالملح في الطعام. ولا يخفى أنه بسبب قصر الباع في اللغة العربية انفتح باب البدعة في الإسلام.
- اللغة هي الرواية والاستماع والمشافهة، قديما كانوا يدرسون ويحفظون المعاجم اللغوية كمقررات دراسية. لقد سئل ابن مالك صاحب الألفية في بعض المجالس عما زاده ابن سيده في المحكم على الأزهري في تهذيب اللغة الأزهري، فسرد ذلك في مجلس واحد، وفي العصر الحديث درس الإمام محمود محمد شاكر وزملاؤه "معجم لسان العرب" على بعض شيوخهم كلمةً كلمةً مرتين، وفي المرة الثالثة توفي الشيخ –رحمه الله– قبل أن يكملوا الدورة الثالثة.
- إني أعتقد أن في تعليم الطالب العربي لغته بهذه الطريقة المروجة –خاصة في المراحل الأولى– ظلما عليه وعلى لغته؛ وهي وسيلة تفضي –بل قد أفضت– به إلى تكون عقدة نفسية لديه.
- أظن أن تعليم اللغات عبر قواعد مجردة طريقة ينفر منها الطلاب في سائر البلدان، وفي جميع اللغات، فلماذا تصر المناهج الدراسية العربية على تعليم أبناء العُروبة لغتَهم عبر هذه القواعد؟ إن طلاب المراحل الإعدادية بحاجة إلى تذوق لغتهم البديعة واكتشاف ما فيها من ثراء علمي وفكري وتاريخي وحضاري، وما تفيض به من قيم ثقافية وتعبيرية، وما تتميز به من خصائص وسمات تفوقت بها على سائر اللغات، وليست بهم حاجة إلى ما يعرفونه بالسليقة والسجية أو ما لا يحتاجونه أصلا في هذه المراحل.
- إن رسالة بعض المؤسسات والجهات التعليمية والتربوية أو العلمية والفكرية ممثلة في قولها: "تأهيل مختصين في علوم اللغة العربية وآدابها تعليما وبحثًا والإسهام في نشر رسالة الإسلام وخدمة المجتمع المحلي والعالمي." لا شك أنها رائعة وبراقة، ولكن هل الوسائل والأدوات والآليات المتوفرة حاليا تكفي لتحقيقها على ما ينبغي؟ ذلكم هو السؤال. والجواب: كلا!
- أتمنى من وزارات التعليم والثقافة في جميع الدول العربية خاصة والعالم الإسلامي عامة أن تلزم الكتاب والمؤلفين والباحثين والصحف والجرائد بتشكيل الحرف الأخير فقط من كل كلمة، حتى تتعود الألسنة العربية على النطق الصحيح للكلمات محل الأعراب.
- توجيه الإعلاميين العاملين في الإعلام المرئي والمسموع بالابتعاد تدريجيا عن اللهجات المحلية، ومحاولة الالتزام باللغة الفصحى أو القريبة منها.

- كما أتمنى عليهم أن يلزموا كافة معلمي اللغة العربية في جميع المراحل التعليمية بالتحدث والتدريس بالعربية الفصحى، والابتعاد نهائيا عن اللهجات المحلية أو الخاصة. لأن مخالفة ذلك تعني الاستخفاف بما يدرسونه بل إهانته والإساءة إليه وإلى الطلاب.
- أخيرا، أفكر كثيرا، هل أمسى لزامًا على الجهات المسؤولة استصدار فتوى لغوية تُحرِّمُ تدريس قواعد الإعراب والصرف بل الاقتراب منهما في المراحل الابتدائية والمتوسطة؟ وتفرض تعليمَ اللغة العربية عبر الشذرات اللغوية والأدبية فقط، كما كانوا يفعلون في العصور السابقة؟!
- ولعلي أختم حديثي برأي انتهى إليه الإمام الزجاجي فيما يتعلق بأيهما أسبق اللغة أم الإعراب؟ فقال بأن اللغة أسبق، ثم جاء بعدها الإعراب.[52] **أريد طلاب المراحل الإعدادية والتأسيسية بأن يحملوا هذا الكلام إلى لجان المناهج التعليمية للغة العربية، المؤقرة.**

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(52) مقدمة ابن خلدون، ص: ١٤٢٣.

# فهرس المراجع والمصادر


- الإتقان في علوم القرآن، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،م الناشر: وزارة الأوقاف السعودية.
- أثر النحاة في البحث البلاغي، حسين عبد القادر، دار غريب للطباعة والنشر القاهرة، 1998م.
- إحياء النحو، دار الآفاق العربية، الأستاذ إبراهيم مصطفى، القاهرة، 1423/2003.
- أساس البلاغة، الزمخشري، دار الفكر، بيروت 1415هـ- 1994،
- الإصابة في تمييز الصحابة، الحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق عادل عبدالموجود، وعلي معوض، دار الكتب العلمية، ط/1، 1995م،
- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل، تحقيق الدكتور عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/3، 1417هـ-1996م.
- البحث اللغوي عند إخوان الصفا، للدكتور أبو السعود أحمد الفخراني، مطبعة الأمانة، شبرا، مصر، الطبعة الأولى، 1411هـ-1991م.
- البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، 1418هـ-1998م.
- تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد بن محمّد بن الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، الهيئة المصرية للكتاب، 1397هـ-1977م.
- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، مكتبة لبنان بيروت، ط 1985م.
- جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني: المكتبة العصرية، ط،17 جيدا، بيروت 1404هـ - 1984م.
- الخصائص، تحقيق محمد علي نجار، ط4، دار الشؤون الثقافية العامة، د ت.
- دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق: محمود شاكر، ط/3 ، دار المدني بجدة، 1413هـ- 1992هـ.
- ديوان الكميت بن زيد الأسدي، تحقيق الدكتور نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط/ 1، 2000م.
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ابن هشام، مكتبة الكليات الأزهرية، ميدان الأزهر، القاهرة.
- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية، أحمد بن فارس القزويني الرازي، تحقيق السيد أحمد صقر.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت 1404هـ - 1984م
- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي (231هـ)، تحقيق طه أحمد إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.
- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- الغارات، أبو إسحق إبراهيم بن محمد الثقفي (ت 283هـ) تحقيق مير جلال الدين الحسيني الأرموي، 1395هـ.
- فضائل القرآن، أبو عبيد القاسم بن سلام الجمحي، تحقيق مروان العطية، ومحسن خرابة، دار ابن كثير، دمشق وبيروت.
- قراءة في ملامح التفسير النحوي عند قدامى العرب، مجلة الإحياء، د. عزيز كعواش، كلية الآداب واللغات جامعة محمد خيضر، بسكرة، المجلد 20، العدد 25، جوان 2020.
- كتاب المعارف، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري، تحقيق د. ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، ط/4.
- الكتاب للإمام سيبويه (أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر)، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/3، 1408هـ-1988م،
- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت 1412هـ - 1992م،
- اللغة العربية معناها ومبناها، د. حسان تمام، عالم الكتب، القاهرة ط/3، 1998.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،ضياء الدين ابن الأثير، تقديم وتعليق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة.
- المرايا المقعرة، نحو نظرية نقدية عربية، عبد العزيز حمودة.
- معاني القرآن، للأخفش الأوسط (أبي الحسن سعيد بن مسعدة 215هـ)، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، دار الكتب، بيروت، د ط، 1405هـ، 1985.
- نظرية النحو القرآني، نشأتها تطورها ومقوماتها الأساسية، أحمد مكي الأنصاري، دار القبلة الإسلامية، ط/1، 1405هـ.

## فهرس الموضوعات


- **فكرة البحث** ..... 2
- تساؤلات البحث وأسباب اختيار الموضوع ..... 2
- نماذج مؤلمة من مخرجات ونواتج مناهج اللغة العربية ..... 3
- المناهج التعليمية وأساليب التدريس في محكمة الطالب العربي ..... 4

**المبحث الأول: مفهوم النحو قديمًا في ضوء أهم المصادر** ..... 5

المطلب الأول: تعريف النحو لدى المعاصرين ..... 5

المطلب الثاني: تعريف النحو أو مفهومه عند المتقدمين ..... 5

المطلب الثالث: مفهوم النحو ومحتواه تحت المجهر ..... 5

**المبحث الثاني: هويَّة النحو بين اتجاهين: قواعد ضبط الإعراب وفقه اللغة والبلاغة** ..... 7

المطلب الأول: النحو بين الإعراب وفقه اللغة ..... 7

المطلب الثاني: النحو رحمًا لعلوم البلاغة ..... 8

**المبحث الثالث: الموقع الإعرابي لمصطلح "الإعراب"** ..... 9

المطلب الأول: الإعراب في المعاجم اللغوية ..... 9

المطلب الثاني: مفهوم الإعراب في ضوء بعض الأحاديث والآثار ..... 10

**المبحث الرابع: الإعراب ومكانته في علم النحو** ..... 11

المطلب الأول: الإعراب بين النظرية والحاجة إلى التطبيق ..... 11

المطلب الثاني: نسبة الإعراب إلى بقية عناصر اللغة وعلومها ..... 12

المطلب الثالث: التركيز على الإعراب بكل أنواعه ونتائج ذلك ..... 12

**المبحث الخامس: السليقة واللغة العربية** ..... 13

المطلب الأول: السليقة في اللغة ..... 13

المطلب الثاني: السليقة في الاصطلاح ..... 13

المطلب الثالث: سبيل اكتساب السليقة اللغوية ..... 13

**المبحث السادس: صياغة شخصية الطالب لغويا: حلولٌ مقترحةٌ ومُخرَجَاتٌ مرجوّةٌ** ..... 15

المطلب الأول: حلول مقترحة لتقوية السليقة في شخصية الطالب العربي ..... 15

المطلب الثاني: مخرجات الطريقة التعليمية الجديدة حال تطبيقها ..... 16

- **فهرس المراجع والمصادر** ..... 18
- **فهرس الموضوعات** ..... 19